المصيبة
وأسبابها في القرآن الكريم

إعداد

أ.م.د مهند محمد صالح عطية الحمداني

Dr. Muhannad Mohammed Saleh Attia al-Hamdani

كلية العلوم الإسلامية/الجامعة العراقية

خلاصة البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا مباركا.

أما بعد :

فأن القران الكريم معجزة الله الخالدة على مر العصور وكر الأيام والدهور وهو كتاب انزله الله ليكون منهج هداية للبشر فبنى الانسان اعتقادا وسلوكا وأخلاقا وجعل من بين وسائل التربية والتهذيب لهذا الانسان ابتلاؤه بالمصائب المختلفة ولاننا في زمن كثرت فيه المصائب حتى بات الناس في حيرة من أمرهم مما يصيبهم بسبب غياب عنهم المعاني والدلالات الاعتقاديه والتربوية للمصائب لذا أحببت أن يكون عنوان بحثي (المصيبة وأسبابها في القرآن الكريم) وكانت خطة البحث مقسمة على ثلاثة مباحث وخاتمه .

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة المتواضعه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

Abstract

Praise be to God, prayer and peace be upon the Prophet Muhammad and his family and companions and the peace and recognition greatly blessed.

After:

The Koran miracle of God immortal throughout the ages Walker days and ages, a book verily God to be the approach of guidance for human beings built the human belief and behavior and morals and make one of the means of education and discipline to this man been troubled by various calamities and because we are in a time abounded in which calamities even now people are perplexed than suffer because of the absence of their meanings and connotations of belief and educational ills So I wanted to be the title of my research (the catastrophe and its causes in the Koran) and the research plan was divided into three sections and a conclusion,

I ask Almighty God that I have been able to study these humble and God bless the prophet Mohammed and his family and him.

العدد
الثاني
عشر
٢٠١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا مباركا.

أما بعد :

فأن القران الكريم معجزة الله الخالدة على مر العصور وكر الأيام والدهور وهو كتاب انزله الله ليكون منهج هداية للبشر فبنى الانسان اعتقادا وسلوكا وأخلاقا وجعل من بين وسائل التربية والتهذيب لهذا الانسان ابتلاؤه بالمصائب المختلفة ولاننا في زمن كثرت فيه المصائب حتى بات الناس في حيرة من أمرهم مما يصيبهم بسبب غياب عنهم المعاني والدلالات الاعتقاديه والتربوية للمصائب لذا أحببت أن يكون عنوان بحثي (المصيبة وأسبابها في القرآن الكريم) وكانت خطة البحث مقسمة على ثلاثة مباحث وخاتمه وهي :

المبحث الاول / مفهوم المصيبة

المبحث الثاني / اسباب المصيبة

المبحث الثالث / الحكمة الالهيه في الابتلاء بالمصائب وأثرها على الفرد والمجتمع

وأما الخاتمة فتضمنت أهم النتائج التي توصلت اليها في بحثي هذا

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة المتواضعه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الباحث

العدد الثاني عشر ٢٠١٦

المبحث الأول
مفهوم المصيبة

أحاولُ في هذا المبحث أن أعرّف المصيبة لغةً واصطلاحاً وابين دلالتها في الاستعمال القرآني وإزالة اللبس عن بعض محترزات العنوان وذلك عبر مطلبين :

المطلب الأول: المصيبة لغةً واصطلاحاً

المصيبة لغةً :

المصيبة من صاب يصيب مصيبة وصَابَ الشيء إذا انزل من علوٍ إلى أسفل كأنه يقصد بالوجهة التي يمر فيها[١]، ومنه المجاز كقولهم: أصاب الله بك خيراً ، أي: أرادهُ لقول النبي محمد(ﷺ) ((مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ)) [٢] أي: ابتلاء بالمصائب ليثيبهُ عليها، أو الأمر المكروه الذي ينزل بالإنسان، ويقال: أصاب الإنسان من المال وغيره ،أي: اخذ وتناول[٣] ،

---

[١] ينظر: تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت ٣٧٠ هـ) تحقيق: رياض زكريا قاسم، دار المعرفة للنشر- بيروت(د.ت.ط) : ٢/ ١٩٥٦ ، والوجوه والنظائر في القرآن ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، تحقيق : أحمد السيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان،(د.ت.ط): ٣١٥، وتاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) دار الهداية للنشر-بيروت(د.ت.ط): ٣/ ١٣٤.

[٢] صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (١٤٢٢هـ)،كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرضى، رقم الحديث٥٦٤٥: ٧/ ١١٥.

[٣] ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لمحمد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري المشهور بابن الأثير(ت٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر احمد الراوي وغيره، المكتبة العلمية – بيروت(١٩٧٩م) : ٣/ ٥٧.

وأصاب السهم إصابة، أي: وصل الغرض، وأصاب السهمُ نحو الرمية، ويصَوُب صَيبوبة إذا قصد ولم يحيد، وأنه لسهمٌ صائب أي: قاصد منه صاب السهم القرطاس[١]

كما في المثل: "مع الخواطئ سهم صائب"[٢]، وأصبت الهدف، أي: وقع السهم به، وأصابته مصيبة ومصاب ومصيبات، ومصائب، أي: أخذته فهو مصاب من الإصابة[٣].

إذن فالإصابة مضمنة بملابسة الغرض[٤] ،

والإصابة: التفجيع، إصابة بكذا، أي: فجعهُ به، ومنه قولهم : أصابهم الدهر بنفوسهم وأموالهم ، أي: فجعهم بالمصابة والمصاب، فالمصاب من الإصابة والشدة النازلة ومن يصاب بالأذى [٥]،

---

[١] ينظر: العين، للخليل ابن احمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية للنشر- بيروت(ط ٢٠٠٣م): ٢/ ٤٢٠ ، والصحاح تاج اللغة ، لإسماعيل بن حماد الجوهري(ت ٣٩٣هـ) اعتنى به: خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت(د.ت.ط):٦٥٠، والمصباح المنير، لمحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري(ت ٧٧٠) دار الحديث للطباعة -القاهرة(٢٠٠٣م) : ٢١٠.

[٢] ينظر: جمهرة الأمثال، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، طبعة: احمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية – بيروت(د.ت.ط): ١/ ٤٩١.

[٣] ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي(ت٤٥٨هـ) تحقيق: عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت(٢٠٠٠م): ٨/ ٣٨٦.

[٤] ينظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري(ت ٣٩٥هـ) تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر- مصر (٢٠٠٦م): ٢٠٩.

[٥] ينظر: المعجم الوسيط ، لإبراهيم أنيس وآخرون ، دار الأمواج للنشر – بيروت (ط٢، ١٩٩٠م): ٣٠٩، وتاج العروس، للزبيدي :٣- ٤/ ١٣٤.

فالإصابة في الخير مأخوذة من الصوب : وهو المطر الذي ينزل بقدر الحاجة ،وأما في الشر مأخوذ من أصابه السهم[١]،فالإصابة بالشر واضحة من خلال قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾[٢]

فإن الإصابة في الخير اعتبارا بالصوب أي: المطر، وفي الشر اعتبارا بإصابة السُّهمِ وكلاها يَرجعانِ إلى الأصل [٣]،

وأما المُصِيبة بضم الميم وكسر الصاد: هي الشدة والمكروه التي تحل بالإنسان[٤]

فالمصيبة واحِدة المصَائِبُ وهو المشهور عند النحويين ، فأجمعت العرب على همز المَصائب واصلها الواو وكأنهم شبهوا الأصلي بالزائد ،والأصل هو، أي: مَصاوب ، ولفظت بالألف والتاء على نحو مصيبات،وأصابته مصيبة فهو مصاب ، والصُّابةُ: المصيبة لما أصابك من الدهر كالمصابة والمصُوبة بضم الصاد وتاء التأنيث على وزن مفعلة كالمثوبة؛ لأن المصيبة كانت في الأصل مصوبة، ومثله أقيموا الصلاة ، أصله أقوموا فالقوا حركة الواو على القاف فانكسرت،

---

[١] ينظر: لغة المنافقين في القرآن، لعبد الفتاح لاشين ، دار الرائد العربي للنشر – بيروت(ط٢، ١٩٨٥م): ١/ ٨٩.

[٢] سورة النور –الاية :٤٣.

[٣] ينظر: المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم محمد بن الحسن بن الفضل الاصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)تحقيق : محمد أحمد خلف الله ،(١٩٧٠م): ٢٦١،وتفسير مفردات الألفاظ القرآن، لسميح عاطف الزين، الدار الأفريقية للنشر، (د.ت.ط): ٥١٩– ٥٢٠.

[٤] معجم لغة الفقهاء ، لمحمد رواسي قلعه جي، دار النفائس للنشر – بيروت (ط٢، ٢٠٠٦م) : ٤٠٤.

وقلبوا الواو ياء لكسره القاف ،فهي كل ما ينزل بالإنسان مطلقا من مكروه[١]،والداهية التي تغير حال الإنسان ، والشدة النازلة، وأصل المصيبة الرمية بالسهم، ثم استعملت في كل نازلة، واختصت بالنائبة[٢] نحو قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣]فالمصيبة في هذا السياق تعني القتل والهزيمة ، وكذلك تبين ان الذنوب سبب لإصابتهم بمصيبة العقاب الإلهي في قوله تعالى﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[٤]

وهنا يخبرنا الله تعالى في أن ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون وعزيزا عليهم إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات.[٥]

---

[١] ينظر: لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن سكر بن ابن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ) ، مراجعة يوسف البقاعي وآخرون، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت، (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) : ١/ ٥٣٥ ، وتاج العروس، للزبيدي ٣/ ٢١٥.

[٢] ينظر: تهذيب اللغة، للازهري ٢/ ١٩٥٦، والصحاح، للجوهري : ٦٥٠ ، ومختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٧٢١هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ، الدار الانموذجية – بيروت(ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م): ٢٧٧، والمصباح المنير، للفيومي: ١/ ١ ، وتاج العروس، للزبيدي ٣/ ٢١١.

[٣] سورة آل عمران–الاية: ١٦٦.

[٤] سورة الشورى–الاية: ٣٠.

[٥] ينظر:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦ هـ) قدم له: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل وغيره ، دار الحديث للنشر- مصر(٢٠٠٥م): ٨٤، ولغة المنافقين في القرآن، لعبد الفتاح لاشين : ١/ ١١٠.

المصيبة اصطلاحاً:

بعد إطلاعي لتعاريف العلماء لمفهوم المصيبة وجدت أنهم متفقون جميعا على أن المراد من المصيبة هو كل شيء يؤلم الإنسان صغر أم عظم فهو مصيبة، حتى لو انقطع شسع نعله وأتعبه ذلك فانه يعد من المصائب سواء كانت واقعة من الله عز وجل أو من العباد بأمر الله تعالى، الا أنهم عبروا عن ذلك بعبارات منها :

الأذى: هو كل ما يؤذي الإنسان المؤمن ويصيبه وينزل به[١]، وما يؤلم النفس والبدن من قول أو فعل ولو ألماً خفيفاً[٢]، وغلب اختصاصها بما يحل بالمرء من عقوبة أو أذى[٣]نحو قوله تعالى ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[٤]

إذن فما يؤلم الحي المدرك في حواس جسمه، ام في نفسه وماله او عرضه فهو أذى فكل ما يصيب الإنسان ويحل به من الأحوال فهو مصيبة .

---

[١] ينظر: الجامع لإحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ) تحقيق: احمد البردوي وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة (ط٢، ١٣٨٤هـ– ١٩٦٤م): ٢/ ١٧٤.

[٢] ينظر : تنوير الاذهان من تفسير روح البيان ، لإسماعيل حقي البروسوي، تحقيق: محمد علي الصابوني، الدار الوطنية للنشر– بغداد(١٩٩٠م): ٣/ ٢٤٩، ونظم الدرر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت(١٣٩١هـ–١٩٧١م) : ٥/ ٢٧.

[٣] ينظر: التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهربن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر– تونس (١٩٨٤م): ٢٠/ ١٣٦ .

[٤] سورة القصص– جزء من الاية: ٤٧.

٢- المكروه: المصيبة هي المكروه والشدة التي تحل بالإنسان ولاسيما المكروه الذي ينزل بالحي ذي الإحساس بألم المكروه[١].

٣- الشدة والنازلة: فالنازلة هي المصيبة الشديدة، جمعها نازلات ونوازل[٢].

والشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس[٣] نحو قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[٤] أي: شدة ونازلة وهي وقوع ما لايوافق غرض النفس من المكروه[٥] كما سنبين ان المصيبة في الاستعمال القرآني دلت على مكاره الدنيا من قحط ومرض... الخ.

٥ــ الألم: فالمصيبة هي كل ما يؤلم القلب والبدن أو كليهما[٦] كما جاء في السياق القرآني في قوله قوله تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ ﴾[٧]من موت الأحباب والأولاد والأقارب، ومن أنواع الأمراض التي تصيب بدن العبد أو بدن من تحب فهي كل ما أصاب الإنسان مما

---

[١] ينظر: المعجم الوسيط ، لإبراهيم مصطفى واحمد الزيات وحامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة للنشر، (مجمع اللغة العربية بالقاهرة)(د.ت.ط) : ١٠/ ٥٢٧ ، ومعجم لغة الفقهاء ، لمحمد رواسي : ٤٠٤.

[٢] ينظر: معجم الوسيط ، لإبراهيم مصطفى وآخرون : ٢/ ٩١٥.

[٣] ينظر: لسان العرب، لابن منظور: ١١/ ٧٨٦، ومختار الصحاح، للرازي: ١/ ٣٠٨.

[٤] سورة الحديد –الاية : ٢٢.

[٥] ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري ،(ت١٠٣١هـ) المكتبة التجارية الكبرى- مصر،(ط٢، ١٣٥٦ه) : ١/ ٢٨٥.

[٦] ينظر : تيسير الكريم الرحمن، للسعدي : ٦٣.

[٧] سورة البقرة – جزء من الاية : ١٥٥.

يكره ويؤذيه سواء كان كثيراً أو قليلاً ولو شوكة يشاكها[١]، كما في الحديث النبوي الشريف (**مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**)[٢].

وبعد أناستعرضنا أصل المصيبة وما هي عليه في اللغة، وتعرفنا على آراء المفسرين على اختلافها وتباينها إلاإننا وجدنا أن ما بين التعريف اللغوي والاصطلاحي ترابط وثيق وتلازم وانسجام في بيان معانيها وما دلت عليه بأن الإصابة تكون بالخير والشر .

المطلب الثاني : دلالة المصيبة في الاستعمال القرآني

ذكرت المصيبة ومشتقاتها في القرآن الكريم في خمسة وسبعين موضعا[٣] أحاول الوقوف عندها عندها كما ذكرها أهل الوجوه [٤] وهي:

الوجه الأول: دلت المصيبة في القرآن الكريم على بلاء الدنيا من القحط والجدب نحو قوله تعالى ﴿ **وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ** ﴾[٥]فالمصيبة في الأرض الجدب، وفي وفي الأنفس المرض ودليل هذا قول الله تعالى ﴿**لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا**

---

[١] ينظر: أحوال المصيبة وما لها من ثواب وما يعقبها من حسن المآب ، لإبراهيم بن أبي بكر اسماعيل الصوفي الذئابي الصالحي الحنبلي (ت١٠٩٤هـ) تحقيق: اياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي، دار ابن حزم – بيروت (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م) : ٢٩.

[٢] اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، للبخاري ومسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، اعد فهارسه: سيد عمران ، دار الحديث للطبع – القاهرة (٢٠٠٧م)، كتاب المرض ، باب ما جاء في كفارة المرض، رقم الحديث ٦٦٣: ١-٣/ ٥٧١.

[٣] يُنظر : المعجم المفهرسلألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،(ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م) :٤١٨-٤١٩.

[٤] ينظر: الوجوه والنظائر ، للعسكري : ٣١٥ -٣١٦.

[٥] سورة الشورى –الاية :٣٠ .

﴿تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[١] ولو أراد بالمصيبة الطاعة والمعصية على ما يقوله المجبرة لم يقل تعالى ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾[٢]، وإما قوله تعالى (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)[٣] يعني: هذه المكاره ، وقال تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾[٤] وهذا دليل على ان المصيبة ليست بالمعصية، وأذن بالمصيبة، والمصائب من الله حسنة، والإذن على هذا التفسير الأمر وهوان يأمر الملك بإنزال المصيبة فيهم ، ويجوز ان يكون بمعنى العلم، والمراد ان الله يعلمها ويجاريهم عليها بالحسنى.

والوجه الثاني: دلت بالوجه الثاني على الهزيمة والقتل نحو قوله تعالى﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ ﴿٥٠﴾﴾[٥] اي: ﴿٥٠﴾﴾[٥] اي: أنكم أن هزمتم استصوب المنافقون بتخلفهم عن القتال معكم ، والأصل في هذه هذه الوجوه واحد وهو الخلة المكروهَ الشديدة الكراهة يترك بالإنسان.

هذه هي الأوجه التي ذكرت في القرآن الكريم للمصيبة وهي وإن بدت متباينة إلاّ إن جميعها تدلُّ على مكاره الدنيا من قحط وموت وهزيمة وهذا هو معنى المصيبة إلاإن الأصل بصورة عامة في هذه الوجوه واحد وهو الخلة المكروه الشديدة الكراهة يترك بالإنسان

---

[١] سورة الحديد- جزء من الاية: ٢٣.

[٢] سورة الحديد – جزء من الاية : ٢٣.

[٣] سورة التغابن– جزء من الاية: ١١.

[٤] سورة الشورى– جزء من الاية: ٢١.

[٥] سورة التوبة– جزء من الاية: ٥٠.

العدد الثاني عشر ٢٠١٦

المبحث الثاني

أسباب المصائب

المطلب الأول: نزول المصائب بسبب أفعال الأفراد

اولا :الذنب

لقد أجمعت معاجم اللغة العربية على ان معاني كلمة الذنب هي: الجرم والإثم والمعصية والخطيئة، وجمع الذنب ذنوب، وذنوبات، وأذنب الرجل، أي: صار ذا ذنب[١].

أما اصطلاحا فهو كل فعل يستوخم عقباه اعتبارا بذنب الشئ، ولهذا يسمى الذنب تبعة اعتبارا لما يحصل من عاقبته[٢]، فهو فعل يؤاخذ عليه شرعا[٣]،

وعرفه آخرون: هي أن تفعل ما يعارض فطرتك الإنسانية المخلوقة وتخالف فيها ما أمرت به كانسان مسلم وق الأوامر الإلهية والتعليمات النبوية الشريفة، وقد وصفه الرسول وصفا دقيقا عن البر والإثم:(الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)[٤]، وليس الذنب كلمة جامدة بمفهوم ضيق محدود، بل تتحرك هذه الكلمة في سلم الدرجات صعودا وهبوطا، يكبر ويصغر، وما صغر منه فهو لمم، وما كبر منه فانه يصل إلى الفاحشة و الإثم، ويدخل في باب الكبائر[٥]، وان أقسام الذنوب وأمهاتها تنحصر في اربع

---

[١] ينظر: تهذيب اللغة ، للازهري : ٤/ ٤٣، ولسان العرب،لابن منظور: ١/ ٣٨٩، والقاموس المحيط، للفيروزابادي :١/ ٧١-٧٢.

[٢] ينظر: المفردات ،للأصفهاني : ٢٦٢.

[٣] ينظر: معجم القرآن، قاموس مفردات القرآن وغريبه، لعبد الرؤوف المصري، مطبعة الحجازي- القاهرة(١٩٤٨م) : ١/ ٢٢٩.

[٤] صحيح مسلم ،كتاب البر والصلاة والاداب ، باب تفسير البر والاثم ،رقم الحديث ٢٥٥٣ : ٤/ ١٩٨٠

[٥] ينظر :الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران ، لماهر احمد الصوفي، دار الرضوان للنشر، (د.ت.ط) ٩٠.

صفات منها: صفات ربوبية ومنها يحدث الكبر والفجر وهذه ذنوب مهلكات، وصفات شيطانية منها يتشعب الحسد والبغي والجزع والمكر والنفاق والأمر بالفساد، وصفات بهيمية ومنها يتشعب الشر والحرص والزنا والصفات السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد وغيرها، وهذه أمهات الذنوب ومنابعها، ثم تنفجر الذنوب في هذه المنابع إلى الجوارح[١]، وعلى هذا يقسم الذنب إلى الكبائر والصغائر: فأما الكبائر فهي كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب[٢] والصغائر فهي ليس فيها فريضة راتبة ولا ارتكاب ما يوجب حدا[٣]،وتشمل الكبائر الكفر بأنواعه والردة والإشراك بالله، النفاق، ترك الصلاة، عقوبة الوالدين، الزنا، الربا، السحر، قتل النفس المحرمة، شهادة الزور، التولي يوم الزحف وعلى الإنسان أن لا ينظر إلى الخطيئة كبيرة كانت أو صغيرة، بل عليه أن يتحرر من الوقوع فيها، والله شدد على بعض المعاصي وتوعد عليها، وحدد من يفعلها اشد العذاب وكذلك الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) سمى بعض المعاصي بالموبقات المهلكات[٤].

أما علاقة المعصية بالذنب والسيئة

---

[١] ينظر: مختصر منهاج القاصدين، للمقدسي : ٣٠٠-٣٠١.

[٢] ينظر: كتاب الكبائر، لابي الحسن حمد عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) عنى به: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن جزم (ط، ١٩٩٣م): ١٣.

[٣] ينظر: أصول الدين، لابي منصور عبد القهار بن طاهر التميمي البغدادي (ت ٤٢٩هـ) مطبعة الدولة- تركيا (ط، ١٩٢٨م): ٢٦٩.

[٤] ينظر: دراسات في العقيدة الإسلامية، لمحمد احمد الخطيب وغيره: ٥٠-٥١.

فان المعصية تستعمل فيما يستعمل فيه الذنب أو السيئة ، لانها تعني الخروج عن الطاعة والأمر[١]، فالمعصية والذنب والسيئة يجمعها جامع الخروج عن طاعة الله فيوصف هذا الخروج بالقبح وسوء العاقبة وبالذنب والسيئة والمعصية[٢]، واما الخطيئة والسيئة فتتقاربان لكن الخطيئة اكثر ما تقال فيما لا يكون مقصودا اليه في نفسه بل يكون القصد سببا لتولد ذلك العقل منه كمن يرمي صيدا فأصاب إنسانا، كما في قوله تعالى ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾[٣] ، وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾[٤] إن الخطيئة من الأوصاف التي استغنى من موصوفاتها بكثرة الاستعمال كالمصيبة والرزية ونحوها، فالخطيئة هي العمل الذي اختزن واستقر فيه الخطأ، والخطأ الفعل الواقع الذي لا يقصده الإنسان كقتل الخطأ، ثم وسع إلى مالا ينبغي للإنسان أن يقصده لو كانت نفسه على سلامتها الفطرية، فكل معصية واثر معصية من مصاديق الخطأ على هذا التوسع، والخطيئة هي العمل أو اثر العمل الذي لم يقصده ولا يعد حينئذ معصية أو لم يكن ينبغي أن يقصده وبعد حينئذ معصية أو وبال معصية، لكن الله عز وجل لما نبه في قوله (وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً) إلى الكسب كان المراد بها

---

[١] ينظر: المفردات، للأصفهاني : ٣٣٧، والمعجم الوسيط ، أبراهيم أنيس واخرون :٢/ ٦١٢.

[٢] ينظر: السنن الالهية، لعبد الكريم زيدان: ٢٠٦.

[٣] سورة الأحزاب- الاية : ٥.

[٤] سورة النساء- الاية : ١١٢.

الخطيئة التي هي المعصية فالمراد بالخطيئة والتي تكون عن قصد إلى فعلها وان كان من شانها أن لا يقصد اليها [١].

فالذنوب والمعاصي أثار على حياة الفرد، فالسيئة ظلمة في القلب وشينا في الوجه ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضه في قلوب الخلق، ونقصا في العقل والدين، واما الحسنة فان لها نورا في الوجه ونشاطا في البدن وزيادة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وزيادة في العقل والدين[٢]، فمن تلك الآثار المترتبة على من يصيب ذنبا و مايقع عليه من مصائب متنوعة منها:

١ . تحدث الذنوب والمعاصي في نفس الإنسان المذنب الضيق والهم والحزن والوحشة بينه وبين ربه وبينه وبين الناس(أي مصيبة الخوف والقلق والهم):

كما أشار في قوله تعالى ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ** ﴾[٣]فالإعراض عن ذكر الله يتولد عنه الضيق والهم والحزن والوحشة التي تكون في القلب فيرى العبد نفسه مستوحشا، وقد تقع الوحشة بينه وبين الله تعالى أو بينه وبين الخلق، أو بينه وبين نفسه، وان هذه المصيبة لا توازيها لذة أبدا حتى لو اجتمعت لذات الدنيا كلها، أما مايحدثه الذنب بينه وبين الخلق فكلما قويت الوحشة زادته بعدا عن الخير وأهله، وعندها يتقرب من حزب الشيطان ويبتعد عن حزب الرحمان، ويتولد عن هذه الوحشية قطيعة بين العبد وربه وبعد هذه القطعية ستنقطع عنه أوصال الخير كلها وعندها يقع في شراك الشر، فلا

[١] ينظر : فلسفة الأخلاق، للطباطبائي : ٦٨-٦٩.

[٢] ينظر: ايقاظ اولي الهمم العالية إلى اغتنام الايام الخالية، لعبد العزيز محمد السلمان، (ط٢، ١٤٠٧هـ): ٩٨.

[٣] سورة طه –الاية : ١٢٤

طير ولا فلاح من الذي انقطعت بينه وبين وليه أسباب الخير، بعد ذلك سيكون الشيطان وليه في كل ساعة وفي كل حين، فعندها سيغفل العبد عن انصح واقرب الخلق له[١].

٢. قسوة القلب وظلمته وفساده

إن الذنوب والمعاصي سبب في صدا القلب وتكون الران عليه والذي يمنع من دخول الايمان إلى قلب صاحبه، وتجعل من قلب العبد قاسيا مظلما يقع في البدع والضلالات والبدع تؤدي بدون شعوره إلى اسوداد وجهة ،فعن عمر الخطاب رضي الله عنه وان للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القبر والقلب، وان المعصية توهن القلب وتضعف إرادته عن فعل الطاعات، وقوية في فعل المعاصي بحيث يصبح مصرا عليها فيصبح مواظبا عليها حتى أصبح عادة له فلا يدرك استقباح المعصية، ومن خلال تكاثر الذنوب يستطيع على قلبه حتى يصبح كالران لقوله تعالى (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) وفي هذا قال بعض السلف إن الران هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب، وفي هذا قال رسولنا محمد ((**إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ» (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**))[٢]، وهو ألران الذي ذكره تعالى في الاية الكريمة التي تقدم ذكرها[٣]،وان عدم مقدرته على التمييز بين الحلق والباطل،

---

[١] ينظر: الداء والدواء ، ابن قيم الجوزية: ٤٧، واثار الذنوب والمعاصي، لعائض القرني، دار مكتبة الوداق- الرياض(١٩٩١م): ١٤-١٥.

[٢] سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ٧٥ من سورة ويل للمطففين، رقم الحديث٣٣٣٤ :٥/ ٤٣٤، قال حديث حسن صحيح.

[٣] ينظر: الداء والدواء ، ابن قيم الجوزية ٥٤، السنن الالهية، للخطيب ١/ ١١٦، واثار الذنوب وبركات التوبة ، لعلي عاشور: ١٣١ و ١٣٧-١٣٨، وأخلاق المسلم وعلاقته النفس والكون ، للزحيلي ، دار الفكر للنشر _ سوريا (٢٠٠٥م): ٢٠٧.

يجعله لا يعرف الحق الذي يدعوه اليه الرسول، ثم ان تحكيمه لهواه على ما جاء به الرسول يمنعه من الايمان والانقياد للشرع الذي لا يوافق هواه المتقلب، فان حجبت قلوبهم عن الايمان ما عليها من الران الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ثم إن الذنوب اذا تتابعت على القلوب أغلقتها، واذا اغلقتها اتاها حينئذ الختم من قبل الله والطبع فلا يكون للإيمان اليه مسلك، ولا للكفر منها مخلص، فذلك هو الطبع والختم الذي ذكره الله تعالى في قوله ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[1] ، ومن هنا جاء قوله تعالى مهددا للذين يقترفون الذنوب والمعاصي بان يطبع على قلوبهم فلا يدخلها الايمان لقوله ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[2]، فربط عدم السماع والطبع بالذنوب ، ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين، ويستهين الآخرة ويستعظم امر الدنيا[3].

٣. تسبب الذنوب مرض القلب للأفراد.

الذنوب والمعاصي سبب وأثرا في مرض القلب؛ لان صحتها تكون بمعرفة الله وطاعته والإنابة اليه والتزام أمره، أو اجتناب نواهيه، وإيثاره على غيره ومحبته والتوكل عليه، وإفراده

---

[1] سورة البقرة – الاية : ٧

[2] ينظر: الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية: ٥٤.

[3] ينظر: تفسير القرآن العظيم،لابن كثير : ٤/ ٤٨٥،وفتح القدير، للشوكاني : ٤/ ٤٠٠، وفي ظلال القران ، لسيد قطب: ٣/ ١٣٤٠-١٣٤١، والسنن الالهية، لأحمد الخطيب: ١/ ١١٨، واثار الذنوب، لعلي عاشور : ١٣٥.

بالعبودية دون سواه[١]، فاذا تتابعت هذه الذنوب وتكاثرت اشتد مرض القلب، ثم لا تزال الذنوب بالقلب حتى تغلب عليه فيموت بالكلية، ومن مات قلبه فانه لا ينتفع بالهدى ولا الايمان ولا يسمع ولا يعقل ولا يبصر، فالقران الكريم لا ينتفع به إلا من كان حيا أما من صار في عداد الأموات فانه لا ينتفع به نحو قوله تعالى ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢]، وقال تعالى﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[٣]، فحياة القلوب وموتها انما هو باستجابتها لامر الله وعدمها، فالمؤمن المطيع هو الحي والكافر العاصي هو الميت[٤].

ومن هنا ندرك من تحذير القرآن الكريم المؤمنين من الوقوع في المعاصي والذنوب، وندرك ايضا أهمية هذا الامر من تحذير الرسول لامته من الوقوع في المعاصي والاثام حتى لا تضل وتعمى قلوبهم من الاهتداء للحق[٥].

ثانيا: الظلم

هنا نجد السبب الأصيل في هلاك اغلب الأفراد و الأمم وإصابتها بمصائب ونكبات ومحن متنوعة لا تعد ولا تحص إلا وهو اتصافها بالظلم الذي معناه في اللغة هو وضع الشيء في غير

---

[١] ينظر: اغاثة اللهفان ،ابن قيم الجوزية : ١/ ٧، العبودية ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي(ت ٧٢٨هـ) ،تحقيق: محمد زهير الشاويش ،المكتب الإسلامي – بيروت ،(ط٧، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م): ١٤٠، والسنن الالهية، لـحمد الخطيب : ١/ ١١٩.

[٢] سورة يس – الاية : ٧٠

[٣] سورة فاطر – الاية : ٢٢

[٤] ينظر: شفاء العليل ،ابن قيم الجوزية : ١/ ٢١.

[٥] ينظر: السنن الإلهية، للخطيب: ١/ ١٢٠.

موضعه المختص به اما بنقصان أو زيادة ومجاوزة الحق قليلا أو كثيرا، ومن وجوه الظلم في القرآن الكريم وروده اما يكون بمعنى الشرك والتكذيب والجحود وهو أعظم الظلم للنفس بتعريضها لعذاب الله، ويأتي على ثلاثة أنواع :.

النوع الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

النوع الثاني: ظلم بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله تعالى ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

النوع الثالث: ظلم بينه وبين نفسه، وإياه قصد بقوله تعالى﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾[3]

وكل هذه الأنواع الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فان الإنسان في أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه، فاذا الظالم أبدا مبتدى بنفسه في الظلم، [4]ولهذا قال تعالى﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ

---

[1] سورة لقمان – الاية : ١٣.

[2] سورة الشورى – الاية : ٤٠.

[3] سورة فاطر – الاية : ٣٢.

[4] ينظر: المفردات، للأصفهاني: ٣٥٣، والسنن الإلهية، لمجدي عاشور :٤٣٧، والسنن الإلهية، لأحمد الخطيب : ١٠/ ١٨٠، وبصائر ذوي التمييز ، للفيروز أبادي : ٤/ ٢٣١، وفتح الباري، للعسقلاني: ٥/ ٩٥.

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١]، وان الإنسان الذي يقابل نعم الله بالجحود فيدل ذلك على مدى ظلمه وطغيانه، عندما يتجرد من إيمانه ومن الإنصاف والعدل كما أشار الله في قوله تعالى ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[٢]، فالإنسان ظالم لنفسه؛ لأنه يعرضها للحرمان والعذاب بسبب الجحود والكفران، وظلوم صيغة مبالغة من الظلم، أي انه ظالم ابلغ الظلم، بظلم نفسه بالكفر وغمط الحق، والاعتداء على حقوق الناس، والاعتداء بعبادته غير المنعم، وبإغفاله عن شكر من انعم عليه، فيضع الشكر في غير موضعه، أو ظلوم في الشدة يشكو ويجزع، والتعبير ب كفار كذلك صفة مبالغة في الكفر، وهو كفر النعمة، ويجمع ويمنع، وأكد الله على ظلم الإنسان بـ ان، و بـ اللام، وبصيغة المبالغة في الظلم وكفر النعمة[٣]، ونهى تعالى عن الظلم وحرمه وأبعده على نفسه بكل حالة وبكل أنواعه لأنه عالم بكل شي قادر على كل شي عدل لا يجوز عليه الظلم والجور، حكيم لا يجوز عليه العبث[٤]، وبما ان الظلم يدعو إلى الشرك والفاحشة، فالشرك اظلم الظلم، والفاحشة تدعو إلى الشرك والظلم ولا سيما اذا قويت إرادتها ولم تحصل إلا بنوع من الظلم بالظلم والاستعانة بالسحر والشيطان[٥]،

---

[١] سورة الزخرف – الاية : ٧٦ .

[٢] سورة إبراهيم – الاية : ٣٤.

[٣] ينظر: فتح البياب، للقنوجي: ٧/ ١٢٠، وزهرة التفاسير، لابي زهرة :٨/ ٤٣٤، والمقتطف من عيون التفاسير ، لمصطفى الحصن المنصوري، حققه واخرج لااحاديثه :محمد علي الصابوني ،دار القلم للنشر –دمشق (ط٢، ١٩٩٦م): ٣/ ٥٦.

[٤] ينظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم الجوزية: ٢/ ٣٤١.

[٥] ينظر: الفوائد،لابن القيم الجوزية :١١.

وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في ذم الظلم والظالم وسوء عاقبته وعقابه في الدنيا والآخرة، وحذر الشارع الجميع وأمرنا ان نبتعد عن الظلم والجور، ويلفت الله أنظارنا إلى عاقبة الظالمين الذين أبادهم ودك عروشهم وكسر ظهورهم وأرغم أنوفهم لقوله تعالى ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1]،والذي يقلب صفحات التاريخ يرى كيف عاقب الله الظالمين على مر الدهر، فيخيب أمالهم وبدد جمعهم وكان عاقبة امرهم خسرا فقال تعالى﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾[2]، فالظلم ظلمات في الدنيا والآخرة، ولهم اشد العذاب حيث تعجل الله بها في الدنيا، لان الظالم مجاوزة الحد والتعدي على الخلق ولقوله سبحانه﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[3]،

فان الله تعالى يكره الظلم والفواحش والفساد في الأرض ويمقت فاعل ويحب العدل والإحسان والجود والصدق والإصلاح في الأرض ويحب فاعل ذلك ، فهذه طريقة الله في اخذ الذين كفروا، والذين حادوا عن الصراط بالعقوبات مستمرة؛ لانهم هيئت لهم سبل النجاة والرجوع إلى الحق، ولكن تمادوا وأصروا وأعلنوا الحرب على الله تعالى عندما لا يرجى منهم

[1] سورة العنكبوت–الاية: ٤٠

[2] سورة غافر–الاية: ١٨

[3] سورة الشعراء–الاية: ٢٢٧

توبة ولا استقامة، فيحل بهم عذاب الله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون، وليعلم بان هلاك الأمم الظالمة له اجل محدود، بمعنى ان بقاء الأمة الظالمة بقاء محدد المدة، اذا انقضت هذه المدة جاء اجلها فتهلك كما يهلك الإنسان ويموت اذا جان اجله بمضي مدة عمره، وتوضيح ذلك: ان الظلم في الأمة كالمرض في الإنسان يعجل في موته بعد ان يقضي المدة المقررة له وهو مريض وبانتهاء هذه المدة يحين اجل موته ، كالظلم فانه يعجل في هلاكها بما يحدثه فيها من آثار مدمرة تؤدي إلى هلاكها واضمحلالها خلال مدة معينة يعلمها الله هي الأجل المقدر لها بموجب سنة الله العامة التي وضعها لأجال الأمم بناء على ما يكون فيها من عوامل البقاء كالعدل أو من عوامل الهلاك كالظلم وغيره التي يظهر أثرها وهو هلاكها بعد مضي مدة محددة يعلمها الله[١] لقوله تعالى﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[٢] أي : لكل امة من الأمم الهالكة اجل، أي وقت معين مضروب لاستئصالهم[٣].

خلاصة القول ان الظلم من أعظم الذنوب واكبر المعاصي التي تخرب القلوب ويمحق الخير ويأتي بالشر، وأشده ظلم الإنسان لنفسه، فينبغي ان لا ندمر أنفسنا بظلمها ولا نفسد فطرتنا بالآثام ولا ضمائرنا ووجداننا بالباطل والبغي، ونتوقى منه ونحترس من الوقوع فيه ؛ لان وفي

[١] ينظر: السنن الالهية لعبد الكريم زيدان : ١٢، والسنن الالهية، للحلبوسي: ٢٠٦-٢٠٧.

[٢] سورة الأعراف: ٣٤.

[٣] ينظر: روح المعاني، للألوسي : ٨/ ١١٢.

ذلك نجاتنا من الالمه في الدنيا وعقوباته في الآخرة[١]، وكذلك ان تاريخ الظلم والطغيان والحقد والكراهية قديما حيث وجد الإنسان على وجه الأرض؛ لان النفس الإنسانية من طبيعتها مشتملة على عنصر الخير والشر اذ قال تعالى:(ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها) [٢] فنجدها تحيد عن منهج الله وشرعه ترتع في حمأة الظلم والطغيان فتجني الندامة والخ.

المطلب الثاني: نزول المصائب بسبب أفعال الجماعات والأمم

اولا : الإعراض عن منهج الله سبحانه وتعالى

ومن الأسباب المؤثرة في وقوع المصائب سواء كانت فردية أو جماعية على الناس، ألا وهو الإعراض عن منهج الله تعالى وعدم العمل بما جاء به الرسول محمد في القرآن الكريم من أحكام وشرائع، فيكون هذا السبب المؤثر الأخص في وقوع الأمم والجماعات في شقاء وعيش الضنك والخوف والقلق وعذاب دنيوي متمثل بالهلاك والاستئصال الأبدي أو بزوال النعم المعطاة جزاء إعراضهم،فالإعراض هو التولي والصد في اللغة، ومن الباب أعرضت عن فلان وأعرضت عن هذا الأمر واعرض بوجهه، لأنه اذا كان كذا ولا عرضه[٣]، وتقول أعرضت عن الأمر إعراضا، أي: صدودا[٤].

---

[١] ينظر: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين ، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) ،حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق للنشر – بيروت ،(ط٣، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م): ٢٧٥، ومعالم خلق، لعبود الراضي: ٢٨٠.

[٢] سورة الشمس – الاية: ٨.

[٣] ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس: ٤/ ٢٧١-٢٧٢، ولسان العرب، لابن منظور ٧/ ١٦٧.

[٤] ينظر: أساس البلاغة، للزمخشري ٣٢٣، ولسان العرب،لابن منظور ٧/ ١٧٦.

إن الإعراض عن منهج الله تعالى بما فيه الإعراض عن ذكره يجلب لصاحبه نتائج سيئة وعواقب وخيمة ناتجة عن الابتعاد عن دين الله وتعاليمه، فمن نتائج الإعراض السيئة ان صاحبه يرتكب أعظم ذنبا، لكونه أعظم الناس ظلما لنفسه ولغيره كما أشار ذلك بقوله تعالى﴿ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾[1]

فهنا يخبرنا تعالى انه أعظم ظلما ولا اكبر جرما من عبد ذكر بآيات الله ، وتبين له الحق من الباطل والهدى من الضلال وحقوق ورهب ورغب فاعرض عنها فلم يتذكر بما ذكر به ولم يرجع عما كان عليه ونسى ما قدمت يداه من الذنوب ولم يراقب الله علام الغيوب، فهذا أعظم ظلما من المعرض الذي لم تأتيه آيات الله ولم يذكر بها، وان كان ظالما فانه اشد ظلما من هذا لكون العاص على بصيرة وعلم أعظم ممن ليس كذلك[2]،

ومن دوافع الإعراض الجحود، فالجاحد هو الذي يعرف الحق من الإيمان بالله تعالى ويرسله إلى غير ذلك مما نصب الله عليه الآيات والدلائل الباعثة على الهدى ثم لا يذعن ولا يؤمن إيمان إتباع، بل ينكر ويصر على الكفر والإعراض عن دعوة الحق، وبينت الكثير من الآيات القرآنية كيف ان الجحود بآيات الله يكون مانعا من الإيمان، وسببا في الضلالة، وذلك يسلبه نعمة الانتفاع بالسمع والبصر والعقل جزاء عدم انتفاعه بها أول مرة لقوله تعالى﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا

[1] سورة الكهف –الاية :٥٧..

[2] ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي: ٥١٦.

﴿أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾[1]، وكذلك من دوافع الإعراض التكبر الذي يدفعه العجب بالنفس بما لديهما من صفات مادية أو معنوية، فيعجب بهذه الأمور ويعظم نفسه فيأبى الخضوع، والانقياد إلى الحق وأهله مستغنيا ومتعاليا بما عنده، فان كبره يدفعه ألا يسمع آيات الله، وإذا سمعها فلا ينظر فيها ولا يتدبرها ولا ينقاد إلى ما تدعو إليه من الهدى، فان ذلك سيتتبع نتائجه في عقله وقلبه، وذلك بصدق الله إياه عن الانتفاع بآياته سواء الكونية والسمعية[2] لقوله تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾[3]

وأيضا فان الإعراض عن هدى الله وعدم الاستقامة على منهجه، وعدم المبالاة بأوامره ونواهيه يكون سببا في الشقاء[4]، فان البشرية كلما انحرفت عن منهج الله سبب لها هذا الانحراف شقوة، وفي ذلك يبين سيد قطب رحمه الله فيقول:" لقد مرت أربعة عشر قرنا منذ نزل هذا التشريع، ومرت البشرية في أقطار الأرض بتجارب شتى فإذا هذه التجارب تثبت ان كلما انحرف الناس عن شريعة الله قد سبب لهم شقوة مريرة لا تكاد تطاق، وهدد أمنهم وراحتهم ومزقهم شيعا، وأذاق بعضهم باس بعض، فضلا عن الشقاء العالمي الشامل الذي انتج في التاريخ المعاصر حربين متتاليتين في ربع قرن، والثالثة على الأبواب تهدد بأفظع دمار

---

[1] سورة الأحقاف – الاية: ٢٦.

[2] ينظر: السنن الإلهية، لأحمد الخطيب: ١/ ١٥١-١٦٥

[3] سورة الأعراف – الاية : ١٤٦.

[4] ينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا: ١/ ١٤٧.

عرفه التاريخ، فضلا عن تفتت الأسرة وتحلل الأخلاق، وتمزق أعصاب الفرد بين شتى الاتجاهات، مما تشهد به أمراض الجنون والاضطرابات النفسية والعصبية وضغط الدم وحوادث الانتحار التي شهدت فيها البشرية في هذا الجيل مالم تشهده مجتمعا في أجيال"[١]، فان ما يعانيه المسلمون اليوم في كثير من ديارهم من شقاء وتعاسة وذل ناتج عن عدم إتباع هدى الله تعالى وعدم السير على شريعة الله التي هي مصدر عزهم وكرامتهم ومصدر راحتهم وسعادتهم.[٢]

فمن اتبع هوى الله وهو شرعه الذي انزله على محمد فهو في أمان من الضلال والشقاء؛لان الشقاء نتيجة الضلال[٣]، فهو يعيش في هذه الدنيا هنيئا غير مهموم[٤]، ويعيش سعادة هذا وعد الله بعدم الحزن والخوف لقوله تعالى﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[٥] أي: فمن اتبع هدى الله من البشر فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب[٦]، وقد يظن ظان ان وعد الله قد تخلف عن اليهود في عصرنا هذا حيث نراهم ألان متغطرسين متكبرين وليسوا في الظاهر في ذل، ويوضح ذلك محمد قطب رحمه الله:" فهو اذا الأبد الذي تحقق منذ صدوره، فبعث الله على اليهود في فترات من الزمان من يسومهم سوء العذاب، والذي سيظل نافذا في

---

[١] هل نحن مسلمون، لمحمد قطب ، دار الشروق للنشر (د.ت.ط): ٣١-٣٢.

[٢] ينظر:السننالالهية،لأحمد الخطيب : ١/ ٤٥٣-٤٥٤.

(٣)الفوائد لابن القيم الجوزية ، وفي ظلال القران ،لسيد قطب: ٤/ ٢٣٥٥: ١٣٤.

[٤] ينظر: فتح القدير، للشوكاني ٣/ ٣٩١.

[٥] سورة البقرة – الاية : ٣٨ .

[٦] ينظر: الروح ،ابن قيم الجوزية :١/ ٢٣٩، وارشاد العقل السليم ، لابي السعود : ١/ ٩٣.

عمومه فبعث الله عليهم بين آونة وأخرى من يسومهم سوء العذاب، وكلما انتعشوا طغوا في الأرض وبغوا، جاءتهم الضربة ممن يسلطهم الله من عباده على هذه الفئة الباغية النكدة، الناكثة العاصية، التي لا تخرج من معصية إلا لتقع في معصية ولا تثوب من انحراف حتى تجنح إلى انحراف، ولقد يبدو أحيانا ان اللعنة قد توقفت، وان يهود قد عزت واستطالت وان هي إلا فترة عارضة من فترات التاريخ ولا يدري ألا الله من ذا الذي يسلط عليهم في الجولة التالية وما بعدها إلى يوم القيامة"[١]، وجاء رسول الله بمثل أخر لمن لا يتبعون رسول الله ولا يهتدون بهدية كمثل قوم جاءهم النذير يخبرهم بان جيشا يغزونهم فلم يصدقوه فصبحهم الجيش فاستباح بيضتهم وأهلكهم، وهذا فعل من لا يطيع رسول الله من الأقوام تكون نتيجتها الخسران واستيلاء الأعداء على ديارهم فيعشون في ذل وهوان، فإذا كان تحكيم شرع الله والعدل بين الناس سبب في الرخاء، فان عدم تحكيم شرع الله سببا في التعاسة ونزول العذاب من الله عز وجل كما بينها في الكثير من آيات القرآن الكريم بان الحكم بغير ما انزل الله حكم الجاهلين، والإعراض عن حكمه سببا لحلول عقابه وباسه الذي لا يرد عن القوم الظالمين[٢] لقوله تعالى ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[٣] أي: يصيبهم بالعقوبة في الدنيا[٤].إذن فمن أهم وأعظم أسباب هلاك وسقوط الحضارات وتفكك المجتمعات هو الإعراض عن منهج الله تعالى .

---

[١] في ظلال القرآن: ٣/ ١٣٨٦.

[٢] ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري :١١/ ٣١٦، والسنن الالهية، لأحمد الخطيب :١/ ٤٤٩-٤٥٠.

[٣] سورة المائدة – الاية : ٤٩.

[٤] ينظر: السراج المنير ، للشربيني : ١/ ٣٦٣.

ثانيا : عدم إنكار المنكر

إن عدم إنكار المنكر في المجتمع يصبح عاتقا ليس على فاعله إنما يشمل ويعم ويحيط بالمجتمع الساكت والراضي والقائم بالمنكر وانه الطريق أو السبب المباشر في جلب المصائب والنكبات المتمثل بعذاب الهلاك أو الأمراض والأوجاع وانتشارها.

فلهذا عد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركن عن بعض العلماء وأسموه بالركن السادس من أركان الإسلام، وقدمه الله تعالى في كتابه على الإيمان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في قوله تعالى﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢ ﴾[1] لعظم شان هذا الواجب ولأهميته في حياة الأفراد والمجتمعات والشعوب، وبتحقيقه والقيام به تصلح الأمة ويكثر فيها الخير، ويضمحل الشر ويقل المنكر وبإضاعته تكون العواقب وخيمة والكوارث العظيمة والشرور الكثيرة وتتفرق الأمة وتقسو القلوب أو تموت، وتظهر الرذائل وتنتشر ويظهر صوت الباطل ويفشوا المنكر[2]،

وعلى هذا الأساس والأهمية لهذا الأمر العظيم الشأن أوجب الله عز وجل علينا القيام به عقلا وشرعا، وأكد زاجره بإنكار المنكرين له، فليكون الأمر بالمعروف تأكيدا لأوامره، والنهي عن المنكر تأييدا لزواجره، لان النفوس الأشرة بعيدة عن إتباع الأوامر، وكان إنكار المجالسين ازجر لها، وتوبيخ المخاطبين ابلغ فيها، ولذلك قال النبي محمد عليه الصلاة والسلام(إِنَّ النَّاسَ

[1] سورة النساء–الاية: ١٦٢.

[2] ينظر: أنهلك وفينا الصالحون، لعبد الملك القاسم، دار القاسم للنشر: ٤–٥.

إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ)[١] ؛لان إظهار النكير هو إعزاز للدين، وإظهار لكلمة الحق لقوله عليه الصلاة (إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ)[٢] وكذلك دلت أحاديث أخرى على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، إما إنكاره بالقلب فلا بد منه، فمن لم ينكره دل على ذهاب الإيمان من قلبه، وفي هذا سمع ابن مسعود رجلا يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فقال له: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر،أشار الى ان معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن احد فمن لم يعرفه هلك[٣]، وقال أيضاً ابن مسعود: يوشك من عاش منكم ان يرى منكرا لا يستطيع له غير، ان يعلم الله من قلبه انه له كاره[٤]، وإما في سنن ابي داود عن الرسول قال: (اذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها) [٥]؛لان الرضا بالخطايا من أقبح المحرمات وعاقبته تعم الجميع الصالح والطالح كما وضحها رسولنا المصطفى (أن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة) [٦]وأيضا

---

[١] سنن ابن ماجة،لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي ، كتاب الفتن ، باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رقم الحديث ٤٠٠٥: ٢/ ١٣٢٧.قال الألباني صحيح

[٢] سنن الترمذي ،كتاب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد عند سلطان جائر،رقم الحديث ٢١٧٤: ٤/ ٤٧١.قال الذهبي حسن.

[٣] ينظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي: ١٠٧- ١٠٨.

[٤] ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ، مؤسسة الرسالة للنشر (٢٠٠١م) : ١٥٩- ٣٦٠.

[٥] سنن ابي داود،كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي، رقم الحديث:٤٣٤٥: ٤/ ١٢٤ . قال الالباني حسن

[٦] مسند احمد بن حنبل،لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون،إشراف:عبد الله بن عبد المحسن التركي،مؤسسة الرسالة(١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م) حديث عدي بن عميرة الكندي، رقم الحديث١٧٧٢٠ : ٢٩/ ٢٥٨. حسن لغيره

ضرب رسولنا محمدعليه الصلاة والسلام مثلا للمنكر والساكت عن الإنكار بما ثبت في صحيح البخاري من حديث النعمان بن بشير قال (مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو انا خرقنا في نصفنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وان اخذوا على أيديهم نجوا جميعا)[١]،فمعنى قوله (القائم في حدود الله) أي: المنكر لها، القائم في دفعها وإزالتها، والمراد بالحدود: ما نهى الله عنه ورسوله، والهلاك المذكور في الحديث يحتمل ان يكون جسديا وان يكون معنويا، فأما المعنوي فان الواقع في الذنب قد اهلك نفسه لما يؤول إليه من العذاب بسبب ما فعل والذي لم يغير عليه مثله لأنه أمر بالتغيير فلما لم يغير وقع في ذنب أخر، وهو ترك تغيير المأمور به فاهلك نفسه بما يؤول إليه من العذاب، وأيضا فان اخذ على يديه وأقام عليه حد الله فعند نجا الفاعل المذنب بالحد الذي أقيم عليه لقوله عليه الصلاة والسلام (ومن أصاب شيئا ذلك عوقب به فهو كفارة له) [٢] ، ونجد أيضاً الذي غير عليه بإنكاره عليه، وإقامة حكم الله كما أمر وثبت له على ذلك الثواب الجزيل[٣]،وإما الهلاك الحسي فان صاحب المعصية يخاف عليه الهلاك في هذه الدار، وكذلك الذي لم يغير عليه بدليل قصة أصحاب السبت، والتي جرت إحداث هذه القصة على شاطئ البحر الأحمر في قرية يقال لها آيلة المسماة اليوم العقبة، وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر، وكانت من مملكة إسرائيل في زمن داود عليه السلام، وكان بنو إسرائيل قد طلبوا ان يجعل لهم يوم راحة يتخذونه عبدا للعبادة، ولا يشتغلون فيه، فجعل لهم السبت

---

[١] صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم الحديث ٢٤٩٣: ٢٧٦.

[٢] صحيح مسلم ، كتاب الحدود، باب الحدود كفارات، رقم الحديث ١٧٠٩: ٣/ ١٣٣٣.

[٣] ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار: ١٢/ ٨٤، وينظر: السنن الالهية، للحلبوسي : ١٢٤.

فكانوا لا يزاولون فيه عملا من إعمال دنياهم من صيدا أو متاجرة أو صناعة، ولكن جعلت الحيتان في يوم السبت تتراءى لهم على الساحل قريبة المأخذ وسهلة الصيد، فتفوتهم وتفلت في أيديهم بسبب حرمة السبت التي قطعوها على أنفسهم، وجاءتهم الأيام التي لا يحرم العمل فيها ولكنهم لم يجدوا الحيتان قريبة ظاهرة كما كانوا يجدونها يوم الحرم، فتحركت دواعي الطمع والجشع في نفوس الفساق من أهل هذه القرية فتشاوروا بينهم، وقالوا:ما بالنا نترك هذه الحيتان في يوم تكثر فيه وتزيد، ونأتي الى صيدها في أيام تحجب عنا وتدبر، أننا بذلك لحائدين عن طريق الصواب، لا رأى الا ان نقبل على هذا الصيد في يوم السبت، واقبلوا فعلا فاصطادوا بلا تعب ولا عناد، فهؤلاء تناسوا عهدهم مع ربهم، وهكذا راح فريق من سكان القرية يقيمون الحواجز على السمك ويحوطون عليه في يوم السبت، حتى اذا جاء الأحد سارعوا إليه فجمعوه، وقالوا: أنهم لم يصطادوا في السبت، فقد كان في الماء وراء الحواجز غير مصيد،لكن عندما علم المتقون من أهل القريبة بما فعل هؤلاء الفساق فخرجوا إليهم ووعظوهم وحذروهم فما زادهم ذلك إلا كفرا وضلالا، وبذلك الفسق عن طاعة الله وخروجهم عنها باحتيالهم على انتهاك محارم الله، في هذا قال ابن كثير: أهل هذه القرية صار وثلاث فرق: فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت وفرقة نهت عن ذلك وأنكرت واعتزلته، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه، ولكنها قالت للمنكرة ﴿ **وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾[1] أي: لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة في نهيكم إياهم، قالت لهم المنكرة (قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ) أي: فيما اخذ علينا من الأمر

[1] سورة الأعراف–الاية: ١٦٤.

بالمعروف والنهي عن المنكر ويقول الله تعالى بحقهم(وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يقولون: ولعل بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون الى الله تائبين، فاذا تابوا تاب الله عليهم، فلما ابى الفاعلون المنكر قبول النصيحة لقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾[1] أي: الذين ارتكبوا المعصية، وانجي الله تعالى عند حلول غضبه وفجأة نعمته، وهكذا الله يمنح أصحاب الفضيلة ثوابه حين يشتد العذاب على الآخرين[2]،

فعدم النهي عن المنكر وإنكاره حسب القدرة يصبح ذنبا يؤخذ عليه الفرد أو الجماعة ، ويأخذ الجميع العذاب اذا حل إلا من شفع له عمله آنذاك،وكما يعرف الجميع ان المعاصي والذنوب إذا تفشت وانتشرت تحدث فتنة والفتنة ما هي إلا عقوبة من الله للناس في الأرض لا يعرف احد مداها إلا الله تعالى فتهلك الأرض ومن عليها، فهنا يحذر الله تعالى عباده من البلاء والاختبار والمحنة التي يعم بها المسيء وغير ولا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب بل هذا البلاء يعم أهل الأرض من القحط والغلاء وتسلط الظلمة وغير ذلك بسبب الذنوب، اذ قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين إلا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم العذاب، فهذا العذاب الذي يصيب الجميع هو جزاء أفعال إفراد، فلا يخصهم وإنما يصيب به الجميع، فالناس اذا

---

[1] سورة الاعراف –الاية ١٦٥.

[2] ينظر: تفسير القران الكريم،لابن كثير: ٢/ ٢٥٩- ١٦٠، والتحرير والتنوير،لابن عاشور: ٩/ ١٤٧، وفي ظلال القران،لسيد قطب: ٣/ ١٣٨٣، موسوعة اخلاق القرآن، احمد الشرباصي، دار الرائد العربي للنشر، (ط٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) : ٣/ ٣٠، السنن الإلهية، للحلبوسي: ١٢٤- ١٢٥، ومشكلة الغذاء وعلاجها، ١٣٤- ١٣٥، وفقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لحيدر حب الله ،دار الفقه الإسلامي المعاصر (٢٠١١م) :١١٣.

تظاهروا بالمنكر فمن المفروض على كل من راه ان يغيره، فإذا سكت عليه فكلهم عاص، هذا بفعله وهذا يرضاه وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضي بمنزلة العامل كما أشار في قوله تعالى﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[١]

ثالثا : إشاعة أو تفشي الفاحشة

الفاحشة لغة : من فحش يفحش، ويقال فحشاء وفاحشة في الفعل القبيح من القول أو الفعل[٢].

أما المعنى الاصطلاحي: نجد ان المعنى اللغوي ما يقارب المعنى الاصطلاح كما قالوا أهل الاصطلاح : ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال[٣]، وتعني كل ما ينفر عنه الطبع السليم ويستقبحه العقل المستقيم[٤]

والفحشاء مصدر مثل السراء والضراء وهي كل ما أستفحش ذكره، وقبح مسموعة ، وكثيرا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا ويسمى الزنا فاحشة[٥]، فان كان كذلك فإنما يسمى لقبح مسموعة، ومكروه ما يذكر به فاعله[٦]، وقد فسرها ابن كثير الفحشاء في قوله

---

[١] سورة الأنفال–الاية: ٢٥.

[٢] ينظر: لسان العرب ، لابن منظور: ٦/ ٣٢٥.

[٣] ينظر: المفردات ، للأصفهاني: ٣٧٤.

[٤] ينظر: التعريفات ، للجرجاني: ١١٧.

[٥] ينظر: النهاية، لابن الأثير :٣/ ٤١٧.

[٦] ينظر: السنن الالهية، للخطيب: ١/ ١٢١.

تعالى﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨ ﴾[١]الأمر بالمعاصي، والمأتم والمحارم ومخالفة الخالق[٢]، وجاءت بمعنى الذنب والمعصية ما يقارب ٢٤ مرة في القرآن الكريم[٣] فهي كل أمر مفرط في القبح والبشاعة كالزنا[٤]، ونعني الإفراط في متابعة الشهوة والميول البشرية[٥]، وأيضا عبروا عنها بأنها كل شي شي نهت عنه الشريعة الإسلامية[٦] ، وإما أبو السعود في تفسيره : عرفها بأنها كل أمر يتأذى منه الخلق ويقبحونه سواء كان من الكبائر أو من الصغائر كالزنا واللواط في القول من سب وشتم وقذف وغيرها[٧]،

فالزنا كبيرة وجريمة بشعة قد حرمها الإسلام وجعلها كبيرة تلي مباشرة كبيرة قتل النفس، فأعظم جريمة ترتكب على ظهر الأرض بعد جريمة قتل النفس مباشرة هي جريمة الزنا، ولا شك ان الزنا قد انتشر في هذه الأيام وانتشاره هو علامة من علامات الساعة لقوله عليه الصلاة والسلام :(إن من أشراط الساعة ان يقبض العلم ويكثر الجهل، ويكثر الربا ويفشوا

---

[١] سورة البقرة – الاية : ٢٦٨.

[٢] ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١/ ٣١٢.

[٣] ينظر: معجم ألفاظ القران ،لمحمد فؤاد عبد الباقي :٢٨٠- ٢٨١.

[٤] ينظر: جامع البيان ، للطبري : ٢/ ٧٧.

[٥] ينظر: انوار التنزيل، للبيضاوي ١/ ٤٤٦.

[٦] ينظر: فتح القدير ، للشوكاني: ١/ ١٦٧.

[٧] ينظر: ارشاد العقل السليم : ٢/ ١٥٨.

الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجال) [١] ، وكما نشرت جريدة الأهرام وبينت إحصائية أنه انتشر وفشا واستفحل حتى ان ١٢ ألف طفل من الزنا وجد في المجتمع اليوم[٢]،

وان الله تعالى جعل في سنته يأخذ بالإفساد الاجتماعي وإشاعة الفواحش و الشرور أسرع مما يأخذ الناس بالكفر والإشراك به، وان أهل الخير والإصلاح لو قاموا بواجب النهي عن الفساد في الأرض يصدق وإخلاص وشجاعة في الحق وللحق لنجا المجتمع وسلم من انتقام الله وبطشه، لان سنته تعالى ألا يهلك الناس هلاك استئصال بكفرهم ما داموا صالحين للحياة المستقيمة، وجزاء الكفر يقبل التأجيل إلى الدار الآخرة، ولكن جزاء البغي والفجور والفساد في الأرض معجل في هذه الحياة موفور في الآخرة[٣] كما في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[٤]، وحمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من أصناف المعاصي، وجعل الإصلاح على إصلاحه والإقلاع عنه، يكون بعضهم متصدين للنهي عنه، وبعضهم متوجهين إلى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغير من أنواع الفساد[٥]، فعندما تنتشر المعاصي من شرب الخمر وانتشار الأغاني الخليعة وكثرة المغنين والمغنيات، فإذا اجتمعت هذه المفاسد واستعذبت هذه الخصال كما في وقتنا الحالي، فليرتقبوا الناس غضب الله وعذابه بشتى الوسائل من ريح حمراء تحمل الإمراض والإسقام والآفات فتهلك الحرث والنسل، وتفسد الزرع والضرع، مع هزات أرضية وزلزل

---

[١] صحيح مسلم ،كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن اخر الزمان، رقم الحديث٢٦٧١ : ٥٩٨.

[٢] ينظر: أمراض الأمة، لمحمد حسان، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع- مصر(٢٠٠٦م): ١٦٦-١٦٧.

[٣] السنن الإلهية: لمجدي عاشور: ٤٤٦.

[٤] سورة هود – الاية : ١١٧.

[٥] ينظر: إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود : ٤/ ٢٤٨.

يخرب البيوت ويهدم المنازل ويقتل الألوف، وعواصف تمحي كل ما هو على وجه الأرض، وفيضانات تغرق الأخضر واليابس، والمسخ الذي يعتري العقول والقلوب ، وقد تعددت صور الغضب الإلهي بحلول مصائب العذاب بصور متنوعة من الخسف والزلازل والغرق والصاعقة والطوفان والسيل العارم والجفاف والصيحة والمطر الشديد والإمراض والحشرات والرياح العاتية والخوف والقلق والاضطراب النفسي والعقلي وتمزق المجتمعات والذلة وكل هذه المصائب تناسب الجريمة والذنب والكسب الإنساني الذي أدى به إلى هذا الدمار أو الهلاك كما حدث في قصص الأولين من الأقوام السابقة[١].

فالذنوب تهلك أصحابها كما يهلك الوباء أهله، فهي تؤدي إلى الدمار على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي، اما بالانحلال البطيء أو بالقارعة من الله تعالى[٢]، فإما على المستوى الفردي نجد ان الزنا رذيلة تحرم الإنسان طمأنينة النفس التي تمتع بها النفس الطاهرة المستقيمة، فمزاولة هذا العمل ينقل القلق إلى نفوسنا ويولد فيها الشعور بالإثم ذلك الشعور الذي يصيب النفس بإضرار شتى، وقد وصف احد المتورطين بهذه الرذيلة نفسيته كما يقول تعالى ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾[٣]أي : كل نظرة تأنيبا لهم [٤]، أن المتأمل في حياة البشرية اليوم يراها قد وقعت في ضروب من المهالك والمفاسد، وسقوط دولة وقامت أخرى والأمة الإسلامية تتعرض اليوم لصنوف من العذاب والتراجع، واستلاب خيراتها واستذلالها

---

[١] ينظر: من قصص السابقين : ٣/ ٢٠٨.

[٢] ينظر : حتى يغيروا ما بأنفسهم ، لجودت سعيد ، دمشق (١٩٨٩م): ٩٢.

[٣] سورة المنافقون –الاية : ٤.

[٤] ينظر: روح الدين الإسلامي، لعفيف طبارة: ٢٨٣.

كالأمم السابقة حينما وقعت في المخالفة زالت ومحيت وأهلكت، فان أي أمة طغت وتمردت على أمر الله ورسوله وقامت بالإعمال فإنها تؤدي بها إلى حلول البلاء وتتوالى عليها المصائب كما في حديث رسولنا محمد(صلى الله عليه وسلم) "اذ فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء، فقيل وما هن يا رسول الله قال اذا كان المغنم دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن أخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أوخسفا أو مسخا"[١]، فقيام أي امة بهذه الإعمال والجحود واستحسان الرذيلة والآثام وإشاعة الفاحشة، فيكون نتيجة ذلك أصابتهم بمصيبة العذاب المتنوعة في الدنيا من خسف ومسخ فتهتز الأرض من غضب الله، فتكثر الزلازل والأعاصير وما يحلقها من خراب بأكمله إزهاق الأرواح بالعشرات، فزلزال في المشرق والأخر في المغرب، وإعصار هنا، وفيضان هناك، وكل ذلك سبب تفشي المعصية والإعراض عن شريعة الله عز وجل[٢]،

وقد تعم مصيبة العذاب أو العقاب جماعة من الجماعات أو مجتمعا من المجتمعات بسبب شيوع الفاحشة في المجتمع ؛ لان الفاحشة عندما تشيع في المجتمع ويسود فيه الفساد يتحول ذلك إلى فساد اجتماعي والى فساد جماعي يشترك فيه المجتمع كله، من فعل ومن لم يفعل، ومن هنا تأتي العقوبة الجماعية فيصب الناس عقاب جماعي، يلحقهم جميعا سواء منهم من مارس الفاحشة

[١] سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في علام حلوم المسخف والخسف، رقم الحديث ٢٢٠١: ٤/ ٤٢٨.قال الذهبي عنه حسن لذاته.

[٢] ينظر: آيات الغفلة، بحث تكميلي : ٢٤-٢٥.

أو من تهاون وسكت عما يجري في المجتمع من فساد وإفساد ومن سوء وفحشاء وصلت إليه الأمة، بل ان العذاب ليحل خاصة بأولئك الذين يعملون على ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[1]؛ لان الفاحشة ظلم للنفس وللناس فهي ظلم نفسي اجتماعي، وسبب في إفساد الناس وانصرافهم عن العمل الصالح والكسب الحسن كما أشار الى المعنى في قوله تعالى﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾[2]

أي : اذا ما أصابت الفتنة المجتمع أو أصابت الذين ظلموا خاصة حل بالمجتمع الخوف والجزع والبلاء وتوالت عليه المحن بمختلف أشكالها وصنوفها وحلت بالناس غضب الله و عقابه بسبب ظلمهم وإسرافهم في أمرهم[3] نحو قوله تعالى﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[4]، وأيضا ان السبب الأكيد لإصابة الناس بمصيبة المرض والعلل إنما هي المعاصي والذنوب وانتشار الفواحش[5]، ومن الأقوام التي أهلكها الله بسبب الفاحشة قوم لوط (عليه السلام)، فان سنة الله التي تخضع لسلطانها المجتمعات في مراحل الانحدار والفساد تبين ان هذا الانحدار إلى هاوية الفساد

---

[1] سورة النور –الاية : ١٩ .

[2] سورة الأنفال – الاية : ٢٥.

[3] ينظر: التاملات في الخلق والمحيا والممات: للمقمودي: ٢٠١-٢٠٢.

[4] سورة النحل – الاية : ٤٥.

[5] ينظر: السنن الإلهية: لخميس الحلبوسي: ٢٣٧.

والانهيار يبدأ من تفتت القمة الاجتماعية في الأمم والشعوب وفساد القمة نذير صارخ بإفساد المجتمع[١] كما في قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[٢]اذ جرت سنته سبحانه ان يأخذ بالإفساد الاجتماعي وإشاعة الفواحش أسرع مما يأخذ بالكفر والإشراك به[٣]، ولذلك يضرب القرآن الكريم مثلا لأمة أنهكها الترف وقتلها مرض الفاحشة وهم قوم لوط (عليه السلام)[٤] وكان الجزاء الاستئصال بسبب تحكم الفساد فيهم والفاحشة هنا: تعني العملية الجنسية الشاذة[٥]، وكان من قبح جرائمهم إتيان الذكور من العالمين، ولذا فان نبي الله لوطا حذرهم من هذه بقوله تعالى ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٦]أي : حذرهم من هذه المعصية بأساليب مختلفة، فقال لهم لوط موبخا قومه؛ أتفعلون هذه الفعلة التي بلغت في الفحش ولم يعلمها احد من قبلكم، فانتم فيها قدوة وأسوة سيئة فستتبرؤون بإثمها وإثم من فعلها إلى يوم القيامة، ثم سجل عليهم أنهم فقط يريدون الشهوة وحدها، فهم أخس من سائر إفراد الحيوان ؛ لان الذكور تطلب الإناث بدافع الشهوة والنسل ويحفظ النوع[٧]، فان إسرافهم هو في

---

[١] ينظر: سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، لمحمد الصادق عرجون، الدار السعودية، جدة : ٣٦-٣٧.

[٢] عاشوا في شرق الاردن في منطقة تعرف بالبحر الميت، ينظر: معجم البلدان :٢/ ٤٢٤.

[٣] سورة الأنعام – الاية : ١٢٣.

[٤] تفسير الشعراوي ، للشعراوي : ٧/ ٤٢٢٨.

[٥] ينظر: تفسير المراغي ، لمصطفى المراغي : ٨/ ٢٠٤.

[٦] سورة النمل – الايتان : ٥٤ – ٥٥.

[٧] ينظر: الجامع لإحكام القران ، للقرطبي : ٣/ ٢٦٧٦.

جمعهم هذه الفاحشة إلى الشرك بالله[١]، لأنهم خرجوا عن سنن الفطرة التي فطر الله الناس عليها في شان تكاثرهم وتناسلهم وتلبية رغباتهم الجنسية، وسبب ذلك حياة الترف والسرف والذنوب التي أدت بهم إلى الانحراف والشذوذ، فاستحقوا بذلك نزول العذاب وكان في الصباح الباكر وعند شروق الشمس خسف الله بهم الأرض وأرسل عليهم من السماء حجارة صلبة ومتتالية ومعلمة لهذا القوم المسرفين، فتلك نهاية القوم المجرمين جزاء فعلتهم الشنيعة وإصرارهم عليها، وما يؤسف إليه ان تنشر هذه الفاحشة في الغرب ويصبح القانون لا يمانع فيها بل أصبحت امرأ مشروعا ويتم عقد الرجل على الرجل فأصابهم الله بمصيبة مرض الايدز وهو مرض فقد المناعة واصيحت ألان الصيحات تتعالى بمنعه، و لاشك ان هذا عقاب الله لتلك الأمم التي رتعت في الفاحشة .

والواقع يؤكد ان امتنا ليست بمنائ عن أي عذاب أو جزاء دنيوي على ما تقترفه من مخالفات، فما يصيب الله به هذه الأمة الخاتمة هو من جنس ما أصاب به الأمم الهالكة بسبب ذنوبهم ومعاصيهم وظلمهم لأنفسهم ان يزيل استقلالها ويخرجها من كونها امة واحدة، بان يتفرق شملها .

[١] ينظر: سنن التدافع بين الحق والباطل: ٤٧٩.

المبحث الثالث

الحكمة الإلهية من الابتلاء بالمصائب وأثرها على الفرد والمجتمع

للابتلاء بالمصائب المتنوعة حكم وغايات عدة منها:-

١- ان البلاء أو المحنة كاشف حقيقي لمعادن الناس، وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[١] فأذن البلاء كاشف حقيقي وذلك لعدة وجوه منها:-

أ-المنافق إذا ابتلى ظهر كفره كما جاء تصويره في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾[٢] فيتصور العذاب الذي يلقاه يماثل عذاب الله فيقول في نفسه علام أصبر على الإيمان فارتد إلى انه أخفى ردتهُ، وجزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الأذية في الله، وقال بعضهم أنها نزلت في ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الله او مصيبة في أنفسهم افتتنوا.[٣]

ب-الابتلاء بمصيبة الخوف يجعل المؤمن دائم المراقبة والحذر من الله في كل الأحوال وعلى ضرورة الانقياد لأوامر وطاعته نحو قوله تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٤].

---

[١] سورة آل عمران - الآية : ١٤٢.

[٢] سورة العنكبوت – الآية: ١٠٠.

[٣] ينظر الجامع لإحكام القرآن ، للقرطبي: ١٣/ ٣٢٩-٣٣٠.

[٤] سورة النحل – الآية : ٥٠.

ت-ومن الحكم الجليلة وقدرة الله التي أراد بيانها او توضيحها تحت اختبارهم بالابتلاءات المتنوعة فكان منها البلاء بالخوف، وذلك لتمييز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب لقوله تعالى ﴿ مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾[1]أي: فليس من شأنه تعالى في خلقه أن يدع الناس على مثل الحال التي كانوا عليها عند حدوث غزوة أُحد فلا يعرف المؤمن من المنافق، فاختبرهم بالخوف والزلزال ليميز الخبيث من الطيب ، كذلك عندما أمر المؤمنين بالجهاد وظهر توكلهم عليه فجاءهم النصر ولم يحتاجوا إلى منازلة الكفار ومبارزتهم ، بل كفاهم الله القتال بما أرسله على الأحزاب من الريح والجنود الآلهة وهكذا نصر الله جندوهم وأعزهم ، وكبت الأحزاب ورد كيدهم عن المؤمنين وبالتالي كشف ضلال المنافقين ومرض القلوب، وخطأ تصوراتهم للموقف حيث أحبط كيدهم ، في هذا قال أبو السعود في تفسيره كأنه قيل: وقع جميع ما وقع ليجزئ الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا، ويعذب المنافقين بم صدر عنهم من الأعمال والأقوال ان شاء يعذبهم او يتوب عليهم ان تابوا[2] فيكون التمييز والاختبار بالشدائد والمصائب وخاصة في الجهاد نحو قوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾[3] فهذا الميدان والدليل القاطع على إخلاص المؤمن وتردد المنافق وجبنه ، ولابد ان يمر الناس في عالم الدنيا بمرحلة الابتلاء والاختبار ليظهر الصادقون من الكاذبين[4]، فهكذا مضت سنة الله وشاءت حكمته ولطفه بالمؤمنين المخلصين الصادقين الإيمان ان يميزهم من المنافقين المستترين

---

[1] سورة:ال عمران – جزء من آية:١٧٩.

[2] إرشاد العقل السليم ٤/ ٤١٢.

[3] سورة محمد – الآية:٣١.

[4] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٦٣-٢٦٤ ، وتفسير الوسيط ، للزحيلي: ١/ ٢٦٣-٢٦٥.

بالكفر بالبأساء والمحن والابتلاء بالشدائد لينكشف المخبئ ما في القلوب ويزول اللبس ويتميز الخبيث من الطيب، ويثنى المؤمن بالله ورسله على وجه القطع واليقين[١]نحو قوله تعالى﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**)[٢] فلولا هذه الابتلاءات ما عرُف المؤمن الصادق من الذي في قلبه وحن وأعظم درس في هذه السنة الربانية ما علمتنا إياه السيرة النبوية كما في غزوة الأحزاب﴿ **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾[٣] فمثل هذا الشدائد التي يقدرها الله تكشف عن الحقيقة الإيمانية وتجرد الإنسان أمام نفسه، فكل إنسان يدَّعي الإيمان ولكن الدعاوي إذا لم يقم عليها أصحابها بينات يكن أصحابها أدعياء ، فبهذه الشدائد تقف النفوس على حقيقة ما هي عليه ، فالصحيح لا يعرف قيمة الصحة إلا حينما يعرف المرض أو يصاب به ولا يعرف الإنسان نعمة الأمن إلا حينما يبتلى بالخوف والهلع[٤].

٢- ان لله عز وجل في كونه سنن ذات أحكام صارمة، تنفذ بقضاء الله وقدره، ، وإن الله في شريعته أحكام تكليفيه لابتلاء أرادات المكلفين ، فهم يفعلونها أو يتركونها باختيارهم الحر، فمن فعلها أهاب خيراً ونال في الله أجراً عظيماً ومن تركها أصاب شراً ، واستحق من الله عقاب وجزاء ، فعندما يأمر الله عز وجل عباده بالجهاد فبالتأكيد لغاية مثالية نبيلة، بعيداً عن الأنانيات الشخصية والرغبات النفعية والمصالح باشتداد حالة الدفاع في الحق المشروع ،

---

[١] ينظر: الابتلاء واثره في حياة المؤمنين ، للميرغيني : ٦١ و ٥٠٢ .

[٢] سورة العنكبوت- الآية : ١-٢.

[٣] سورة الأحزاب - الآية : ١٢.

[٤] ينظر: السنن دروس في سنن الله وأيامه وكتبه ، لمحمد الدهلوس : ١٥.

فالجهاد يهدف إلى إعلاء كلمة الله في الواقع الإنساني الذي منح فيه الإنسان حرية الاختيار لحكمة الابتلاء في الحياة الدنيا ، مع ان كلمة الله هي العليا في كل شيء أولاً وأخرا وهي الكلمة النافذة لا محال[١] .

٣- يبين تعالى علة حكمته بالابتلاء فان لكل سبب مسببا ولكل عمل جزاء، فان قدر الله وراء أفعال البشر ، كما في غزوة احد ، فلما المجاهدين ضعفوا وتنازعوا وعصوا امر قادهم صرف الله قوتهم وبأسهم وانتباههم عن المشركين وصرف الرماة من ثغرة الجبل، وصرف المقاتلين عن الميدان فلاذوا بالفرار فابتلاهم الله تعالى بالشدة والخوف والهزيمة والقتل والقرح وما ينكشف عن هذا كله من كشف مكنونات القلوب في تمحيص للنفوس وتمييز للصفوف وهكذا تقع الإحداث مرتبة على أسبابها وهي في الوقت ذاته مدبرة بحسابها بلا تعارض بين هذا وذاك فلكل حادث سبب ووراء كل سبب تدبير من اللطيف الخبير[٢]، وخير دليل على أنه تعالى انزل السكينة والنعاس على المؤمنين في ساحات القتال ما هو إلا جزاء ومثوبة وإمداد الإلهي لأهل الإيمان والصبر والثبات في سبيله ، أما قذف وإلقاء الخوف والرعب والهلع في قلوب المنافقين والكفار والمشركين إلا عقوبة بسبب سوء صنعهم وذنوبهم وأفعالهم في الدنيا وخاصة في الجهاد.

٤- وأما الغاية في ابتلاء النفوس قبل الابتلاء بالأموال ، وذلك لابد من تربية النفوس بالبلاء وامتحانها في المعارك بالمخاوف والشدائد والجوع ونقص الأموال والأنفس ، ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة بمقدار ما أدو في سبيلها ولكي تعز على نفوسهم من هذه التكاليف، وإما

---

[١] ينظر: تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد ووجوه النصر، للميداني: ٢١ و ١٠٤.

[٢] ينظر: في ظلال القرآن ، لسيد قطب: ٤/ ٤٩٤.

العقائد الرخيصة التي لا تؤدي أصحابها تكاليف لا يعز عليها التخلي عنها عند الصدمة الأولى ، فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل ان تعز في نفوس الآخرين ، وكلما تألموا في سبيلها وكلما بذلوا من أجلها كانت اعز ما عليهم وكانوا أحق بها فلابد من البلاء ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى ، فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخر الطاقة ، وتفتح في القلب منافذ ومآرب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد والقيم والموازين والتطورات ما كانت تتضح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغش عن العيون والران عن القلوب ، وأهم قاعدة في هذا كله الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الإسناد كلها وتتوارى الأوهام وهي شتى ، ويخلوا القلب إلى الله وصولا يجد سندا إلا هو ، ففي هذه اللحظة تتجلى الغشاوة وتفتح البصيرة نحو لاشيء إلا الله ، فلذلك وضع الله الابتلاء ليكشف المجاهدون ويتميزوا، وتصبح إخبارهم معروفة ولا يقع اليأس في صفوفهم، ولا يبقى مجال لخفاء أمر المنافقين ، ولا أمر الضعاف الجازعين[1].

٥- من اجل الحكم والغايات بالابتلاء بالمصائب مثلا مصيبة الخوف هو التذكير بنعمة الأمن والآمان فمن أعظم النعم التي لا يشعر بفضلها العباد إلا حين يفقدونها التي فيها طمأنينة القلب وسكينته وراحته وهدوءه، وهو أصل من أصول الحياة البشرية فلا تزدهر الحياة ولا تنمو وتحلو بغير الأمن وهو نعمة كبرى ومنه عظمى من الله تعالى يمتحن بها عباده، بحيث يشعر الإنسان في وجودها بلذة الدنيا وطيب متاعها ، لأن الخائف لا يذوق طعم النعمة لا في المال ولا في الصحة ، ولهذا كان الأمن نعمة والخوف بلاء عظيم ، والإنسان لا يشعر بحقيقة

[1] ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: ٢/ ١٤٥، وطريق الدعوة ، لسيد قطب: ٢٢١-٢٢٢، والأمن النفسي: ٦٧، واثر البلاء في حياة المؤمن في القرآن، للميرغني : ٤٣.

الا من الا عندما يخاف ويشتد خوفه، وكلما زاد ذلك الشعور زاد حاجته للأمن، والنبي إبراهيم عليه السلام عليه كانت أول تضرعاته ان دعا ربه ان يجعل البلد الذي ترك فيه ابنه وزوجته آمن مطمئنا نحو قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾[١] فاستجاب الله لنبيه وجعل تلك البلدة آمنة وأمنى على قريش بهذه النعمة التي كفروا بها بعد إيمانهم بمحمد (صلى الله عليه وسلم) نحو قوله تعالى (**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ**)[٢] وكان ذلك أول ماقدم عليه السلام مكة ، برغد العيش وأمنه من القحط والجدب والغارات وسفك الدماء وفيه طلب الأمن على طلب الرزق، وكذلك منَّة الله تعالى على اهل مكة بهاتين النعمتين[٣]﴿ **ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ** ﴾[٤] لان إذا فقدت نعمة الأمن فسدت الحياة وشقيت وساءت الأحوال وتغيرت النعم بأضدادها فصار الخوف بدل الأمن والجوع بدل الشبع والفوضى بدل اجتماع الكلمة والظلم والعداوات بدل الرحمة اذا أشار الحديث النبوي الشريف إلى أن أصول حيازة الدنيا بثلاثة أمور ألا وهي الأمن في الأوطان والمعافاة في الأبدان والرزق والكفاف[٥] لقوله عليه الصلاة والسلام (**ومن أصبح منكم معافى في جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا**) [٦] وعلى هذا من فقد الأمن فقد ثلث الحياة ولما كان الأمن ثلث العيش لما امتن الله به على الإسلاف من قريش.

---

[١] سورة البقرة – جزء من الاية :١٢٦..

[٢] سورة العنكبوت – جزء من الاية :٦٧.

[٣] ينظر: النعمة بين الدوام والزوال، لرائد زيادة : ٣٢.

[٤] سورة قريش –الاية : ٤.

[٥] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١/ ٥٢٧، وإرشاد العقل السليم، لأبي سعود: ١/ ١٨٨.

[٦] تم تخريجه سابقا في صفة ١٥٢.

إذن فاختلال الأمن وذهابه ابتلاء من الله وامتحان يورث الخوف والجوع وقلة الرزق ويجلب الغم والحزن والصبر، فالخوف والقلب والرعب محنة الإنسان وأزمته الكبرى في هذا العصر فلقد خلق الإنسان ليعيش في أمن وسلام على هذه الأرض، وعندما يصبح هذا الحق مهددا بالزوال وشبح الخوف والرعب والقلق يطارده تفقد الحياة قيمتها ومعناها، فالخوف بعد الآمن مصيبة من المصائب وبليه من الابتلاءات كما حدث لأهل مكة قوله تعالى﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[1]لأنهم كفروا بنعمة الأمن والرزق ، والمعاصي والذنوب سبب رئيس للخوف والقلق والمصائب والفتن ولكي تتحقق نعمة الأمن لابد من وجود الإيمان والاستقامة ؛ لأن الأمن مرتبط بالإيمان[2] نحو قوله﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[3].

٦- من الحقائق القرآنية الثابتة انه لا نصر دون ابتلاء ولا تمكين بلا ابتلاء، ومن يقف على حركة التاريخ ويستقرى حركة الصراع يصل إلى هذه الحقيقة ورب قائل يقول لماذا لا يكون النصر دون الابتلاء ، وهل بالضرورة ان نبتلى حتى ننتصر؟ ونجيب ان النصر لابد له من ثمن، والنصر بلا ثمن قد يستهان به ويفرط به، فمن هنا كان الابتلاء ضرورة وثمناً للنصر كي لا يكون رخيصاً، وقد سئُل احد الصالحين : أيما أفضل للرجل ، ان يمكن له او يبتلى ؟ فقال:

---

[1] سورة النحل – جزء من الاية : ١١٢ .

[2] ينظر: مدخل إلى فقه النعمة ٢٨٢

[3] سورة الأنعام–الاية: ٨٢.

لا يمكن الرجل حتى يبتلى ، فان الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليه أفضل الصلاة فلما صبروا مكنهم الله تعالى.[١]

الخاتمة

بعد هذه الجولة العلمية المباركة في آيات القران الكريم توصلت الى النتائج الاتية :

١ -الأهمية الكبيرة التي أعطاها القران الكريم للابتلاء بالمصائب المتنوعة وتبينت هذه الأهمية في العديدة من الايات التي ورد فيها ذكر لفظ المصيبة.

٢- المصيبة هي كل ما يصيب الانسان من مكاره الدنيا من نكبة وضر وسوء وشدة وهذا مفهوم المصيبة من ناحية الدلالة اللغوية لم بخرج عن مضمونه في الاستعمال القراني .

٣ - الابتلاء بالمصائب المتنوعة له اثر كبير على النفس الإنسانية في تحقيق العبودية لله تعالى في السراء والضراء وتربية النفوس واعداها وخلوها من الشوائب وإخلاصها لله تعالى .

٤- علاقة الذنوب بالمصائب علاقة وثيقة سواء كان الإعراض عن منهج الله وعدم إنكار المنكر والظلم وانتشار المعاصي والفواحش والسيئات فانها اسباب مباشرة لها .

الباحث

[١] ينظر: الفوائد ، لابن قيم الجوزية : ٢٩٩، وفي ظلال القرآن لسيد قطب: ٤/ ٢٠٣٦.

قائمة المصادر والمراجع

وهي بعد القران الكريم

١ـ اثأر الـذنوب والمعاصي، لعائض القرني، دار مكتبة الـوراق، الريـاض ، ١٩٩١م.

٢ـ احوال المصيبة ومالها من ثواب يعقبها من حسن الماب ،لابراهيم الصوفي الصالحي الحنبلي(ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: اياد عبد اللطيف، دار ابن حزم ،بيروت،١٤٤٣هـ ـ٢٠٠٩م.

٣ـ الاساس في التفسير ، لسعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٤ـ اضواء البيان ، للشنقيطي(ت١٣٩٩هـ)، دار الفكـــــــر ، بيـــروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٥ـ امـراض الامـة ،لمحمد حســـــــان ، مكتبة فيـــــــاض للنشر والتوزيع، مصر ، ٢٠٠٦م.

٦ـ الانسان مسير ام مخير ، لمحمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر للنشر ، دمشق ، ١٩٩٧ .

٧ـ تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي(ت١٢٠٥هـ)، دار الهدايه للنشر، بيروت.

٨ـ التحرير والتنوير، لابن عاشور(ت١٣١٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م .

٩ـ تسلية اهل المصائب ، لابي عبد الله محمد بن محمد المنجبي الحنبلي، (ت٧٨٥هـ)، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م،.

١٠ـ تفسير الشعراوي، لمحمد متـــــولي الشعراوي، مطابع اخبار اليوم ، القاهرة ، ١٩٩١م.

١١ـ تفسير القـران العظـيم، لابـن كثير(ت٧٧٤هـ) ،دار مكتبـة الـهلال، بيـــروت ، ١٩٨٦م.

١٢ـ تفسير المنار ، لمحمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للنشر ، ١٩٩٠م.

١٣ـ التفسير الوسيط ، لوهبة الزحيلي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، دمشق .

١٤ـ تنوير الاذهان من تفسير روح البيان، للبروسوي ، تحقيق: محمد علي الصابوني، الدار الوطنية للنشر،بغداد،١٩٩٠م.

١٥ـ تهذيب اللغة،للازهري(ت٣٧٠هـ) ،تحقيق:رياض زكريا قاسم ، دار المعرفة للنشر، بيروت

١٦ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،لعبد الرحمن بن ناصر السعدي(ت١٣٧٦هـ)، دار الحديث للنشر،مصر، ٢٠٠٥م.

١٧ـ جامع البيان عن تاويل اي القران ، للطبري (ت٣١٠هـ) ، تحقيق: الدكتورعبد الله بن عبد المحسن التركي، دار حجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٨ـ الجامع لاحكام القران،للقرطبي(ت٦٧١هـ)، تحقيق : احمد البردوي وابراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

١٩ـ الداء والدواء ، لابن قيم الجوزية، دار العقيدة للنشر، الاسكندرية، ٢٠١١م.

٢٠ـ روح الدين الاسلامي ، لعفيف طبارة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م.

٢١ـ سنة التدافع بين الحق والباطل في القران ، احمد عبد القادر الطرايرة ، جامعة دمشق ، ٢٠٠٦.

٢٢ـ السنن الالهية، لعبد الكريم زيدان، موسسة الرسالة للنشر ، بيروت، ٢٠٠٩م.

٢٣ـ سنن الترمذي، لابي عيسى السلمي الترمذي (٢٧٩هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

٢٤ـسنن الله في المجتمع من خلال القران، لمحمد صادق عرجون ، الدار السعودية للنشر، جدة

٢٥ـ صحيح البخاري ،لمحمد بن اسماعيل ابو عبدالله البخاري ،تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ

٢٦ـ صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج ابو الحسن القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت .

٢٧ـ العقيد الاسـلامية واسسـها، للميداني، دار القـلم ، دمشـق ، الطبعة الثانيـة ، ١٩٧٩م.

٢٨ـ العين، للخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت،٢٠٠٣م.

٢٩ـ الفتح القدير، للشوكاني(ت١٢٥٠هـ) ، مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر،الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ ـ١٩٦٤م.

٣٠ـ في ظـلال القـران،لسيد قطـب ، دار الشروق ، الطبعـة التاسعة ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٣١ـ القصة في القران الكريم ، للطنطاوي ، شركة نهضة مصر للطـباعة والنشر، ٢٠٠٣م.

٣٢ـ الكشـاف ، لجار الله بن القاسم بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، دار صادر، بيروت.

٣٣ـ لسان العرب ، لابن منظور(ت٧١٩هـ)، مراجعة يوسف البقاعي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٤ـ لغة المنافقين، لعبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي للنشر، بيروت، الطبعة الثانية ،١٩٨٥م .

٣٥ـ مجموع الفتاوي ، لابن تيمية، تحقيق: عبد الحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، مكتبة ابن تيمية للنشر ، الطبعة الثانية بلا سنة طبع.

٣٦ـ المحرر الوجيز، لابن عطية (ت٤٥١هـ)،تحقيق: عبد الله بن ابراهيم الانصاري والسيد عبد العال والسيد ابراهيم ، الدوحة ، ١٤٠٦هـ .

٣٧ـ المحكم و المحيط الاعظم، لابن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية،بيروت ،٢٠٠٠م .

٣٨ـ المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر،الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٣٩ـ مفاتيح الغيب المسمى ب التفسير الكبير ، للرازي (ت٦٠٦هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ه.

٤٠ـ المفردات في غريب القران ، للاصفهاني(ت٥٠٢هـ)، تحقيق:محمد احمد خلف ،بيروت ،١٩٧٠م .

٤١ـ النهاية في غريب الحديث والاثر، لابن الاثير(ت٦٠٦هـ) ، تحقيق:طاهر احمد الراوي وغيره،المكتبة العلمية ،بيروت ،١٩٧٩م.